متباين التجارب والأطوار ، ثم تنقل إليه صورة القائل فى نفسه من الشجن واللوعة ، وما يحركه من ذاك إلى التسلى بالحديث واللياذ بغماز الناس ، ولا تفوتك من تلك الصور قصة كاملة تنبئك عنها «القلوب المنضجات القرائح» وتدل عليها رائحة السأمة التى تنسم عليك من قوله «ومسح بالأركان من هو ماسح» . . كأنما تمسيح الأركان لم يكن همه الذى يعنيه من تلك الرحلة وكأنه كان يتوسل به إلى مأرب يشغله عن الأركان ومن يمسحها من الماسحين . وإلى جانب هذه المناظر والخواطر حواشى شتى يضفيها الخيال وتمليها البديهة ، فإذا أنت من الأبيات الخمسة فى واد يموج بالمشاهد ويتتابع بدواعى الشعور . وفى ذلك على ما نرى شىء غير اللفظ السهل الذى يحسب قوم من النقاد أنه كل ما فى هذه الأبيات من فضيلة الجودة ومزية الإعجاب» .

ويستفاد من هذا التعليق وأمثاله ، أو على الأصح ينبنى عليه أن اللغة ووسائل تصويرها تعتبر عنصرًا أساسيًا فى الشعر قد لا يقل أهمية عن المضمون الفكرى أو العاطفى ، ومع ذلك نرى العقاد وبخاصة فى مجال الجدل النقدى يتنكر أحيانًا للغة وأهميتها تنكرا تاما ، وذلك على نحو ما فعل عند حديثه عن الشاعر البدوى محمد عبد المطلب فى كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى» حيث يقول فى معرض محاجة عبد المطلب ومدرسته التى كانت تعنى باللغة عناية بالغة :

وغنى عن الشرح أن اللغة ليست هى الشعر والشعر ليس هو اللغة وأن الإنسان لم ينظم إلا للباعث الذى من أجله صور أو صنع التماثيل أو غنى أو وضع الألحان . فالباعث موجود بمعزل عن